



لم أعلم - حين نشرت أمس رسالتي إلى الأخ خالد مشعل - أي غضب كان مكتوماً محبوساً وراء الباب، وكأن الرسالة فتحت ذلك الباب فتدفق الغضب كالسيل، منه ما وصلني في رسائل شخصية ومنه ما نُشر تعليقاتٍ على المقالة، بعضها أنصف وبعضها ابتعد عن الإنصاف، فبدأتُ بالجواب عليها فُرادي، ثم رأيت أن الأمر يطول ويشقّ علىي، فأحببت أن أنشر الجواب عاماً ليقرأه من شاء كما نشرتُ المقالة الأصلية نسراً عاماً فقرأها من شاء.

بعض الإخوة الذين علّقوا على المقالة بلغ بهم الانفعال مبلغاً حملهم على ذمّ كل فريق إسلامي في كل بلد عربي على الإطلاق، ولهمّاء أقول: أرجو أن لا يدفعنا الغضب والضيق إلى ظلم غيرنا، فكما أنتا تأبى أن نُظّم فكذلك لا ينبغي أن نظلم؛ ما أبغض أن ينقلب المظلومون ظالمين!

لقد كشفت ثورة سوريا المباركة مواقف الناس وميّزت الخبيث من الطيب، فرأينا أنَّ من وقف معنا في كل مكان هم الإسلاميون والإسلاميين فقط؛ أليسو هم من حشد لدعم الثورة السورية الحشود في الأردن ولبنان؟ أليسو هم من تصدى لكتابهم ونقاباتهم لشبيحة النظام الأسدية في البلدين وفي سائر البلدان؟ من وقف مع الثورة السورية في الكويت وال سعودية والبحرين ومصر وتونس ولibia والجزائر والمغرب غير الإسلاميين؟ ومن كان المدافعون عن النظام الأسدية سوى اليساريين والشيوعيين والبعثيين والقوميين؟

لقد أثبتت هذه الثورة المباركة - كما أثبتت أحداث جسّام سبقتها - أن الأمة المسلمة جسد واحد، لا يُصاب منه عضو إلا انتفض نجدةً وانتصاراً له سائرُ الجسد، وأن الإسلاميين - على اختلاف أشكالهم وانتماءاتهم - هم طليعة الأمة في النجدة والانتصار.

أما حماس فما عرفناها - منذ عرفناها - إلا جماعة مجاهدة صابرة على الحق حين انقضّ عن الحق أكثر الخلق، وما عرفنا أحداً من أصحابها، من أبي الوليد وغيره، إلا قدّم لله وللفلسطين أكثر ما يستطيع أن يقدمه أمرؤ لأمته فيما نحسب، والله حسيبهم. فمن أين جاءت هذه التهمة الغربية التي قرأتُها في غير قليل من التعليقات: أنهم من الذين باعوا آخرتهم في سبيل

دنياهم أو أنهم ركبوا مركب الثورة لمكاسب ومارب ومناصب وامتيازات؟ وأي كسب جنوه وهم مُشردون مُشتتون وقد كانوا يملكون -لو شاؤوا- أن يستقروا في أي بلد من أفضل البلدان؟ أما إن المكاسب تأتي إلا أن تمدّ أعنافها، ودونكم رجال "السلطة"، انظروا كم يملكون من الدور والقصور والسيارات والدولارات والشركات، ثم انظروا إلى رئيس وزراء الحكومة الشرعية (ويسمونها "المقالة" زوراً) في غزة: أين يسكن وما هي ثروات أبنائه؟ فأما مسكنه فلا يرضاه لنفسه من قراء هذه المقالة تسعه من كل عشرة، وأما الأولاد فمنهم من يطارده اليهود ومنهم من سكن اللحود.

إن "حماس" تجتمع مع حزب الله في المصير بعد سقوط النظام السوري، لأنها لم تجد من يؤويها -للأسف- سواه، ومع ذلك انظروا إلى الفرق الهائل بين موقفها و موقف حزب الله: الحزب دعم نظام الأسد بكل شيء وحارب الشعب السوري بكل شيء، وحماس رفضت حتى أن تسير مظاهرة مؤيدة للنظام في مخيمات اللاجئين، ورفضت الاستجابة للطلب الإيراني والضغط الإيراني بإعلان موقف داعم للنظام، كم بين الفريقين!

لنعرف بالحق، فالحق ينبغي أن يُجهر به: إن صمت حماس في الشهور الماضية هو بحد ذاته موقف إيجابي، فقد أبى أن تقف مع النظام لا في السر ولا في العلن، وأصرت على الحياد الظاهر لأنها لا تملك أكثر منه، وكنا نتمنى فقط أن تستمر على ذلك الموقف ولا تُعلن رأياً يوحي بأن النظام والشعب متساويان في الميزان. هذا هو ما أخذناه على الأخ أبي الوليد في الأسبوع الأخير وما وددنا أن لا يقوله ولا يفعله، وهو ما نتمنى أن لا يقوله ولا يفعله من الإخوة في حماس أحدٌ منذ اليوم.

* * *

يا أيها السادة: أنا لا أتكلف الدفاع عن حماس ولست واحداً من أهلها، ويشرفني لو كنت كذلك، ولا يربطني بها سوى ما يربط بها أكثر القراء: حب وفخر ودعاء. لا أتكلف الدفاع عنها، ولكنني لا أرضى لها الظلم كما لا أرضى له ثورتنا المباركة. ثم إن من حق اليتيم على اليتيم أن يكون الوحد منهما رداءً لآخر، ونحن وحماس في اليم سواه، فكما تخلى العالم عنا تخلّي العالم عنهم، وكما تركنا لنواجه وحدنا نظام احتلال مجرم تركوا هم ليواجهوا وحدهم نظام احتلال مجرم، فلنكن لحماس رداءً وناصراً ولنطلب منها أن تكون لنا رداءً وناصراً، ولنجمع كلانا ونضع اليد في اليد في مواجهة ظلم البعداء وتخلّي الأقرباء والأصدقاء. هذه دعوة للطرفين معاً، لحماس وللثورة السورية، المنصوريتين جميعاً بإذن الله.

إننا نستسهل لوم حماس ولو لم يُجهر به نكاد نذكر أن الأمة تخلت عنه وعن قضيته وقضيتها الكبرى، قضية فلسطين، حتى إذا مُدّ إليهم يد بمساعدة لم يستطعوا رفض المساعدة، ليس من أجل أنفسهم ولكن من أجل شعب يموت على عين الدنيا والدنيا صامتة صمت سكان القبور. أترون -لو أن المسلمين كفوا حماس مؤونتها- أن القوم كانوا وجهوا وجوههم شطر إيران أو شطر نظام الأسد المجرم؟ لقد تخلينا عن القضية وتخلينا عن حماس طوال السنين، ثم جئنا نلومهم اليوم! لا يطلب بعضاً اليوم النجدة من أميركا، وأميركا هي العدو الذي غزا ودمّر البلد الشقيق والجار القريب، العراق العربي المسلم، وقتل وشرد من أهله المسلمين ملايين؟ أليس ثوار سوريا أعلنا ذات يوم استعدادهم للتحالف مع الشيطان؟ إن الغريق يتثبت بيد الشيطان لو مدد يده لانتشاله من الغرق الشيطان! ليس من يغلي في القدور كمن يشرب الماء والعصير.

يا أيها السادة: إنما نعتب على حماس على قدر المحبة، ولو شئت لأرسلت الرسالة إلى أبي الوليد من حيث لا يقرؤها أحد سواه، ولكن ليعلم الناس أننا نرجو من إخوتنا ما لا نرجوه من سواهم، فإننا قد نفينا اليَّ من أدعية المقاومة المزيفين وبقي الأمل معقوداً على المجاهدين الصادقين من أمثالهم. ولعلهم يخطئون ويزلّون فإن دروب السياسة مزالقُ الحكام، وإننا لنختلق لهم العذر في المرة بعد المرة، ولكن ما كلَّ مرة تَسلِمُ الجرَّة، لذلك ننصحهم ونذكّرهم، وندعو لهم الله أن يسدد رأيهم وأن يدلهم على منهج الحق وطريق الصواب، وأن يثبّتهم عليه ويجزل لهم الثواب.

يا أيها الإخوة في حماس: هذا ما نرجوه منكم وهذا ما نرجوه لكم. غداً سيطوي التاريخُ الأسدَ المجرم ونظامَه الملوث بدماء الشهداء، فاعملوا لذلك اليوم منذ اليوم لنشتركَ معاً في قطف ثمار الانتصار، وتدكروا أن الطريق إلى القدس يمر من دمشق، والطريقُ مغلقٌ لن يفتحَه إلا زوالُ بشار وحكم بشار.

المصدر: [مدونة الزلزال السوري](#)

المصادر: